أسماء الله الحسنى

البصير -جل جلاله-

الثاني والأربعون

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَوَّلُ فَرْضٍ فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ مَعْرِفَتُهُ فَإِذَا عَرَفَهُ النَّاسُ عَبَدُوهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَاعْلَم أَنه لَا إِلَه إِلَّا الله). فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ وَتَفْسِيرَهَا فَيُعَظِّمُوا اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ.

وقال ابن القيم -رحمه الله- : لَا يَسْتَقِرُّ لِلْعَبْدِ قَدَمٌ فِي الْمَعْرِفَةِ - بَلْ وَلَا فِي الْإِيمَانِ - حَتَّى يُؤْمِنَ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيَعْرِفَهَا مَعْرِفَةً تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْجَهْلِ بِرَبِّهِ، فَالْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ وَتَعَرُّفُهَا: هُوَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ، وَقَاعِدَةُ الْإِيمَانِ، وَثَمَرَةُ شَجَرَةِ الْإِحْسَانِ.

البصيـــر سبحانه وتعالى المطلع على خلقه، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر، فالسر عنده علانية والغيب عنده شهادة.

الدّلالاتُ اللُّغَوِيَّةُ لاسْمِ (الْبَصِيرِ):

البَصِيرُ في اللُّغَةِ مِنْ أَبْنِيَةِ المُبَالَغَةِ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، فِعْلُهُ بَصُرَ يُبْصِرُ بَصْرًا وتَبَصَّرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الأنعام: 104]، وتَبَاصَرَ القَوْمُ: أَبْصَرَ بَعْضُهم بَعْضًا، والبَصَرُ يُقَالُ للعَيْنِ إِلَّا أَنه مُذَكَّرٌ، ويُقَالُ أَيْضًا لحِسِّ العَيْنِ والنَّظَرِ، أَو القُوَّةِ التي تُبْصِرُ بها العَيْنُ أَوْ حَاسَّةِ الرُّؤْيَةِ، والتَّبَصُّرُ: التَّأَمُّلُ والتَّعَرُّفُ والتَّعْرِيفُ والإِيضَاحُ، والبَصِيرَةُ: الحُجَّةُ والاسْتِبْصَارُ، وهي اسْمٌ لما يُعْقَدُ في القَلْبِ مِنَ الدِّينِ وتَحْقِيقِ الأَمْرِ، وقِيلَ: البَصِيرَةُ الفِطْنَةُ، ورَجُلٌ بَصِيرٌ بالعِلْمِ: عَالِمٌ بِهِ، وبَصَرُ القَلْبِ: نَظَرُهُ وخَاطِرُهُ. لسان العرب (4/ 64)، والمفردات (ص: 127).

ورود الاسم في القرآن الكريـــم:

وَرَدَ هَذَا الاسْمُ في القُرْآنِ اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعِينَ مَرَّةً مِنْها:

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 233].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 15، 20].

وقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

وقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: 19].

ووردت في السنة كثير من الأحاديث الدالة على ذلك، ومنها ما رواه أبو مُوسَى -رضي الله عنه- قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: " أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا - أَيْ ارْفُقُوا- عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا" (البخاري).

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قَالَ ابنُ جَرِيرٍ: "يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96]: واللهُ ذو إبْصَارٍ بِمَا يَعْمَلُونَ، لا يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهم، بَلْ هُوَ بِجَمِيعِها مُحِيطٌ، ولَهَا حَافِظٌ ذَاكِرٌ.

وقَالَ الخَطَّابِيُّ: "البَصِيرُ هو المُبْصِرُ، ويُقَالُ: البَصِيرُ: العَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الأُمُورِ".

وقَالَ ابنُ كَثِيرٍ: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 15، 20]: أَيْ: هو عَلِيمٌ بِمَنْ يستحِقُّ الهدايةَ ممن يستحقُّ الضَّلالةَ، وهو الذي لا يُسألُ عما يفعلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، ومَا ذَلِكَ إلا لِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ".

وقَالَ الأَلُوسِيُّ: أَيْ: خَبِيرٌ بهم وبِأَحْوَالِهم وأَفْعَالِهم".

وقَالَ السَّعْدِيُّ: "(البَصِيرُ): الذِي يُبْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ وإنْ رَقَّ وصَغُرَ، فَيُبْصِرُ دَبيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ في اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ، ويُبْصِرُ مَا تَحْتَ الأَرْضِينَ السَّبْعِ كَمَا يُبْصِرُ مَا فَوْقَ السَّمَاواتِ السَّبْعِ. وأَيْضًا سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الجَزَاءَ بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ، والمَعْنَى الأَخِيرُ يَرْجِعُ إلى الحِكْمَةِ.

(وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [يونس: 61].

وعَلَى هَذَا يَكُونُ لـ (البَصِيرِ) مَعْنَيَانِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ لَهُ بَصَرًا يَرَى بِهِ.

الثاني: أَنَّهُ ذو البَصِيرَةِ بالأَشْيَاءِ، الخَبِيرُ بِهَا.

يقول ابن القيم في القصيدة النونية:

وهو البَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ والصَّوَّانِ

ويَرَى مَجارِي القُوتِ في أَعْضَائِها ويَرَى عُرُوقَ بَيَاضِها بِعَيَانِ

ويَرَى خِيَانَاتِ العُيُونِ بِلَحْظِها ويَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ

قال ابن القيم: فهو البَصِيرُ الذي لِكَمَالِ بَصَرِهِ يَرَى تَفَاصِيلَ خَلْقِ الذَّرَّةِ الصَّغِيرَةِ وأَعْضَائِها ولَحْمِها ودَمِها ومُخِّها وعُرُوقِها، ويَرَى دَبِيبَها عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ في اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، ويَرَى مَا تَحْتَ الأَرْضِينَ السَّبْعِ كَمَا يَرَى مَا فَوْقَ السَّمَاواتِ السَّبْعِ. طريقُ الهجرتين (ص: 211).

آثـــــار الإيمــان باسم الله تعالى البصيـــــر:

❶ إثْبَاتُ صِفَةِ البَصَرِ لَهُ جَلَّ شَأْنُهُ؛ لأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وهو أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ نؤمن بها ولا ندري كيفيتها ... فهو سبحانه: " ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى:11]، وَصِفَةُ البَصَرِ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ كَصِفَةِ السَّمْعِ، فالمُتَّصِفُ بهما أَكْمَلُ مِمَّنْ لا يَتَّصِفُ بِذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50].

❍ والبَصَرُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، تَلِيقُ بِجَلَالِهِ، يَجِبُ إثْبَاتُها دُونَ تَمْثِيلٍ أو تَعْطِيلٍ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَرَى الأَشْيَاءَ كُلَّها مَهْمَا دَقَّتْ أَوْ عَظُمَتْ. توضيحُ المقاصدِ وتصحيحُ القواعدِ في شرحِ قصيدةِ الإمامِ ابنِ القيمِ

✉ويجب علينا أن نؤمن بأنه تبارك وتعالى- يُبْصِر بعينين تليقان بجلاله وكماله -سبحانه-، وقد ثبت ذلك في القرآن: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) [الطور:48]، أي: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين. وقال تعالى: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر. وقال تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) [طه: 39] بمرأى مني ومحبة وإرادة.

✉كما ثبت في السنة المطهرة عن رسول الله -ﷺ- أن لله عينين، حين وصف المسيح الدجال فقال كما في حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-: "مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ.." متفق عليه وتنزيهه -سبحانه- عن العَوَر، دليل على ثبوت العينين له سبحانه على الوجه اللائق به.

❷والله عز وجل هو البَصِيرُ الذي يَنْظُرُ للمُؤْمِنِينَ بِكَرَمِهِ ورَحْمَتِهِ، ويَمُنُّ عَلَيهِم بِنِعْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ، ويَزِيدُهم كَرَمًا بِلِقَائِهِ وَرُؤْيَتِهِ، ولَا يَنْظُرُ إلى الكَافِرِينَ تَحْقِيقًا لِعُقُوبَتِهِ، فَهُم مُخَلَّدُونَ في العَذَابِ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: 15]، وقَالَ: ﴿ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: 77]، فكما لم تُبصِر قلوبهم ، عوقبوا بجنس عملهم بأن حُجِبوا عن ربِّهم في الآخرة.

❍وكم من آيـــات ونذر يرسلها إلينـــا ربُّنا عزَّ وجلَّ، ونحن عنها غافلون!! وعِنْدَ البُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُل حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ".

وَعنْ أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ-: "ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمْ اللَّه يوْمَ الْقِيَامةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلا ينْظُرُ إِلَيْهِمْ، ولَهُمْ عذَابٌ أليمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، ومَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِل مُسْتَكْبِرٌ" رواهُ مسلم.

❸إنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى بَصِيرٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ، خَبِيرٌ بها، بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهِدَايَةَ مِنْهم مِمَّنْ لا يَسْتَحِقُّها، بَصِيرٌ بِمَنْ يَصْلُحُ حَالُهُ بالغِنَى والمَالِ، وبِمَنْ يَفْسُدُ حَالُهُ بِذَلِكَ؛ ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: 27]، وهو بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ شَهِيدٌ عَلَيْهِم، الصَّالِحِ مِنْهم والطَّالِحِ، المُؤْمِنِ والكَافِرِ؛ ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: 2]، ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 96]؛ بَصِيرٌ خَبِيرٌ بأَعْمَالِهِم وذُنُوبِهِم ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 17]، وسَيَجْزِيهِم عَلَيها أَتَمَّ الجَزَاءِ.

❹ومَنْ عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيه اسْتَحَى أَنْ يَرَاهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ أَوْ فِيمَا لَا يُحِبُّ. ومَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَرَاهُ أَحْسَنَ عَمَلَهُ وعِبَادَتَهُ، وأَخْلَصَ فِيهَا لِرَبِهِ وخَشَعَ، فَقَدْ جَاءَ في حَدِيثِ جِبْرِيلَ؛ عِنْدَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ -ﷺ-عَنِ الإِحْسَانِ فَقَالَ -ﷺ-: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" رواه مسلم

🗐قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: "هَذَا مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ التي أُوتِيهَا -ﷺ-؛ لأَنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ أَحَدَنَا قَامَ في عِبَادَةٍ وهو يُعَايِنُ رَبَّهُ سبحانه وتعالى لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيهِ مِنَ الخُضُوعِ والخُشُوعِ وحُسْنِ السَّمْتِ، واجْتِمَاعِهِ بِظَاهِرِهِ وبَاطِنِهِ وعَلَى الاعْتِنَاءِ بِتَتْمِيمِهِا عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهَا إلا أَتَى بِهِ.

❍فَمَقْصُودُ الكَلَامِ الحَثُّ عَلَى الإِخْلَاصِ في العِبَادَةِ، ومُرَاقَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى في إِتْمَامِهِ الخُشُوعَ والخُضُوعَ وغَيْرَ ذَلِكَ" شرح مسلم

❍وهنا نحن نتكلم عن البصيرة، عبادة قلبية...

❍فالبصيرةُ: نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ في القَلْبِ، يَرَى بِهِ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُه رَأْيَ عَيْنٍ، فَيَتَحَقَّقُ - مَعَ ذَلِكَ - انْتِفَاعُهُ بِمَا دَعَتْ إليهِ الرُّسُلُ، وتَضَرُّرُهُ بِمُخَالَفَتِهم.

✉والبَصِيرَةُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ مَنِ اسْتَكْمَلَها فَقَدِ اسْتَكْمَلَ البَصِيرَةَ: بَصِيرَةً في الأسْمَاءِ والصِّفَاتِ، وبَصِيرَةً في الأَمْرِ والنَّهْيِ، وبَصِيرَةً في الوَعْدِ والوَعِيدِ.

❁فالْبَصِيرَةُ في الأسْمَاءِ والصِّفَاتِ: أَلَّا يَتَأَثَّرَ إِيمَانُكَ بِشُبْهَةٍ تُعَارِضُ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُه، بَلْ تَكُونُ الشُّبَهُ المُعَارِضَةُ لِذَلِكَ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ الشُّبَهِ والشُّكُوكِ في وُجُودِ اللهِ، فَكِلَاهما سَوَاءٌ في البَلَاءِ عِنْدِ أَهْلِ البَصَائِرِ.

⇦وَعَقْدُ هَذَا: أَنْ يَشْهَدَ قَلْبُكَ الرَّبَّ تَبَارَكَ وتَعَالَى مُسْتَوِيًا عَلَى عَرْشِهِ، مُتَكَلِّمًا بِأَمْرِهِ ونَهْيِهِ، بَصِيرًا بِحَرَكَاتِ العَالَمِ عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ، وأَشْخَاصِهِ وذَوَاتِهِ، سَمِيعًا لأصْوَاتِهِم، رَقِيبًا عَلَى ضَمَائِرِهم وأَسْرَارِهِم، وأَمْرُ المَمَالِكِ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ، نَازِلٌ مِنْ عِنْدِهِ وصَاعِدٌ إليهِ، وأَمْلَاكُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ تُنَفِّذُ أَوَامِرَهُ في أَقْطَارِ المَمَالِكِ، مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الكَمَالِ، مَنْعُوتًا بِنُعُوتِ الجَلَالِ، مُنَزَّهًا عَنِ العُيُوبِ والنَّقَائِصِ والمِثَالِ.

❁المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْبَصِيرَةِ في الأَمْرِ: وهي تَجْرِيدُهُ عَنِ المُعَارَضَةِ بِتَأْوِيلٍ، أَوْ تَقْلِيدٍ، أَوْ هَوَى، فَلَا يَقُومُ بِقَلْبِهِ شُبْهَةٌ تُعَارِضُ العِلْمَ بِأَمْرِ اللهِ ونهيِهِ، ولا شَهْوَةٌ تَمْنَعُ مِنْ تَنْفِيذِهِ وامْتِثَالِهِ، والأَخْذِ بِهِ، ولا تَقْلِيدٌ يُرِيحُهُ عَنْ بَذْلِ الجُهْدِ في تَلَقِّي الأَحْكَامِ مِنْ مِشْكَاةِ النُّصُوصِ، وقَدْ عَلِمَتْ بِهَذَا أَهْلُ البَصَائِرِ مِنَ العُلَمَاءِ مِنْ غَيْرِهم.

❁المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: البَصِيرَةُ في الوَعْدِ والوَعِيدِ: وهي أَنْ تَشْهَدَ قِيَامَ اللهِ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ في الخَيْرِ والشَّرِّ، عَاجِلًا وآجِلًا، في دَارِ العَمَلِ وَدَارِ الجَزَاءِ، وأَنَّ ذَلِكَ هو مُوجَبُ إِلَهِيَّتِهِ ورُبُوبِيَّتِهِ، وعَدْلِهِ وحِكْمَتِهِ. مدارج السالكين

🕮حظ المؤمن من اسم الله تعالى البصير:

❶دوام الحيـــاء والمراقبة: قال تعالى: (وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) [الإسراء:17] فمن عَلِم أن ربَّه بصيرٌ مُطلعٌ عليه، استحى أن يراه على معصية أو فيما لا يُحب ... ومن عَلِم أنه يراه، أحسن عمله وعبادته وأخلص فيها لربّه وخشع.

⇦وإذا داوم العبد على تلك المراقبة، بلغ أعلى مراتب الإيمان ... كما جاء في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي -ﷺ-: "ما الإحْسَانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ " [متفق عليه].

⇦فيجب على العبد أن يراقب ربَّه في جميع أحواله، ويوقن أن ربَّه سبحانه وتعالى من فوق عرشه بصيرٌ به.

📝ليس هناك أقبح من أن يجعل العبد ربه أهون الناظرين إليه؛ (يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا)، لأن في ذلك إساءة للأدب مع البصير السميع -سبحانه وتعالى- فلا ينفع من فعل ذلك ما قدمه من الطاعات واكتسبه من الحسنات؛ حيث يجعلها الله هباء منثورا، عَنْ ثَوْبان رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: ((لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ، أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا))، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ

وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، قَالَ: ((أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))؛ رواه البيهقي وابن ماجه. عند التدبر في هذا الحديث المخوف الخطير، نجد أن الذي أورث هؤلاء الصّوام القوّام مثل هذه الخسارة الرهيبة والمصير المفزع، بحيث وجدوا أن كل ما تعبوا من أجله وسهروا الليالي وصاموا النهار، قد جعله الله -عز وجل- هباء منثورا، هو شيء واحد، ألا وهو جهلهم بأسماء الله -عز وجل- وصفاته، واغترارهم به -عز وجل-، ولو أنهم استحضروا رؤية الله لكل أفعالهم، ومشاهدته -جل وعلا- لحركاتهم وسكناتهم، وكلامهم وخواطرهم، وعلموا علم اليقين أنه مطلع عليهم، لما أقدموا على انتهاك حرماته، عافانا الله تعالى من ذلك.

❁فالعاقل من شغل قلبه بمحبة الله، ولسانه بذكره، واستعمل جوارحه في طاعته ... وكفها عن معصيته.

❷النظر والتفكُّر والاعتبـــار والتذكُّر: فعلينا أن ننظر في خلق الله تعالى؛ لنرى كمال قدرته فنزداد يقينًا وإيمانًا ... يقول الله عزَّ وجلَّ: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية:17-20].

⇦وكذلك التفكُّر والاعتبـــار من أحوال من سبق ... فكما أمرنا الله عزَّ وجلَّ أن ننظر في خلقه، أمرنا أن نعتبر بما فُعِل فيما مضى من الأمم الغابرة... يقول تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران:137-138].

❸ التوكل على الله سبحانه وتعالى: فالله تبارك وتعالى بصيرٌ بأحوال عبـــاده، خبيرٌ بما يُصلحهم وما يفسدهم ... يقول تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) [الإسراء:30] مما يجعلنا نتوكل عليه سبحانه وتعالى حق التوكل ونفوض إليه جميع أمورنـــا.

❹الرضـــا بقضـــاء الله تعالى وقدره: لأن طالما الله سبحانه وتعالى بصيرٌ بنـــا شهيدٌ علينـــا، فهو سبحـــانه يعلم إن كان ما نسأله عليه من الرزق سيصلحنا أم أن فيه هلاكنـــا دون أن ندري ... قال تعالى: " وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ " [الشورى:27] فلابد أن نرضى بقضائه لنـــا.

كيف ندعو الله تعالى باسمه البصير؟

⇦ورد الدعـــاء باسمه تعالى البصير في مواضع كثيرة، منها:

❁دعـــاء موسى عليه السلام: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) [طه:25-36] أحْسَن في الدعـــاء، فأناله الله تعالى ما سأل.

❁وكما قال العبد الصالح، مؤمن آل فرعون: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [غافر: 44].

⇦ومن دعاء المسألة أيضًا، الدعاء بمعنى الاسم ومقتضاه ... كسؤال العبد ربَّه أن ينير له بصره وبصيرته ...

❁كما في قول إبراهيم عليه السلام وهو يطلب من ربّه في دعائه أن يبصره بمناسك الحج إلى البيت الحرام: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة:128].

❁وكذلك أمر الله تعالى سيد المرسلين أن يتوكل عليه لأنه يراه ويبصر حاله وأحواله: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) [الشعراء:217-218].

❁وكان من دعائه: " اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي بصري نورًا ... " [متفق عليه] فكان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يفتح له من رحمته، فيُبصِر بقلبه مع عينه ولا يرى إلا ما يحب الله جلَّ وعلا

⇦فلا ينبغي للعبد وهو يعلم أنّ له ربّاً سميعاً بصيراً، عليماً خبيراً، أن يكفُّ عن الدعاء والتضرع بين يديه، ومن أدب الدعاء أن لا يجهر بالذّكر والدّعاء إلاّ فيما جاء الدّليل على استحباب الجهر فيه. لقول النبيُّ -ﷺ-: "أيها الناس ارْبعوا على أنفُسِكم فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً" (البخاري).

قال -عز وجل-:(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [الأعراف: 55].

📝ينبغي على المسلم أن يدعو وهو في حال من التذلل ولا يدعو بشيء من العلو والترفع أو يدعو بأسلوب لا يليق ولا يتأدب فيه مع الله -عز وجل- كالذي يرفع صوته رفعاً لا يليق، أو يتخير من العبارات ما لا يتناسب مع مقام المعبود، بل عليهم أن يدعوا ربهم ضارعين أي متذللين مخفين لهذا الدعاء، وذلك أدعى للإخلاص.

✉فإذا أحسن العبد في عبادته لربه، ومجانبته لمعاصيه، مستحضراً رؤية الله له، واطلاعه عليه، كافأه الله -عز وجل- بأعظم المكافآت، وأدخله مرتبة الإحسان، وهي أعلى مقامات الدين، وكم من شخصٍ كَفَّ عن مقارفة المعاصي، وفِعل الذنوب، لاستحضاره رؤية الله، واستعظامه لجانب الله أن يراه على هذه المعصية، فكافأه الله بلذّة في قلبه لا يستبدل بها الدنيا ولو عرضت عليه.

📝ولقد كان الجيل الأول أكثر الناس فهما وفقها للآيات والأحاديث، وقد تشرَّبت قلوبهم بتلك المعاني العظيمة، وانطبعت قلوبهم بتلك الآثار الإيمانية الكبيرة لأسماء الله وصفاته، ومن الأمثلة على ذلك:

❁اثنى الله على الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم الصلاة والسلام-؛ فلقد راودته امرأة العزيز وكانت ذات منصب وجمال، فطلبته -وهي سيدته وهو في بيتها-، وألحت في مسألتها، وكررت طلبها، وكان المكان خاليًا، وغلقت الأبواب، وأمِنَا من عامل المفاجأة؛ فلا يدخل أحد عليهما، وكان الكريمُ -عليه السلام- شابًا قويًّا أعزب لا زوجة له؛ بل توعدته المرأة وهددته، ومع ذلك كله: (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [يوسف:23].

❁وهذا الربيع بن خُثَيْم -رحمه الله- تتعرَّى عنده امرأة فاجرة بعث بها فَسَقَةٌ يريدون إغواءه؛ فيردها ويزجرها وينصحها، فتنتفع بقوله، وتقع كلماته بموقع في قلبها؛ فتنتظم في صفوف القانتين التائبين.

❁ورأى شاب فتاة فوقع أسيرًا لشهوته؛ فراود الفتاة عن نفسها، وقال لها: لا يرانا أحد في هذا الظلام غير الكواكب؟! فقالت: وأين مكوكِبُها؟ فقام وتركها.

وإذا خلوت بريبـةٍ في ظلمة *** والنفس داعية إلى الطغيان

فاستح من نظر الإله وقل لها *** إن الذي خلق الظلام يراني

❁أن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- كان يتفقد المسلمين ليلا في سكك المدينة، فسمع عجوزاً تقول لابنتها: "امزجي اللبن بالماء"، فقالت البنت: "أما علمت أن عمر نهى عن مزج اللبن بالماء"؟، فقالت العجوز في لحظة غفلة: "وأين عمر حتى يرانا؟!"، فقالت البنت المؤمنة الموقنة بنظر الله -تعالى- إليهما: "إن كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا" ومن نسل هذه المؤمنة الصالحة كان نسمة عظيمة من أعلام الأمة، وهو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- ، وصدق الله: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ) [آل عمران: 34].

❁ذكر ابن الجوزي في التبصرة بسنده، عن نَافِع مولى ابن عمر قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ فَوَضَعُوا سُفْرَةً لَهُمْ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: "هَلُمَّ يَا رَاعِي فَأَصِبْ مِنْ هَذِهِ السُّفْرَةِ" فَقَالَ: "إِنِّي صَائِمٌ". فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: "هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ غَنَمِكَ نَجْتَرِزُهَا نُطْعِمُكَ مِنْ لَحْمِهَا مَا تُفْطِرُ عَلَيْهِ وَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا؟" قَالَ: "إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي إِنَّهَا لِمَوْلايَ". قَالَ: "فَمَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ لَكَ مَوْلاكَ إِنْ قُلْتَ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ؟"، فَمَضَى الرَّاعِي وَهُوَ رَافِعٌ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: "فَأَيْنَ اللَّهُ؟"، قَالَ: فَلَمْ يَزَلِ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: "فَأَيْنَ اللَّهُ!". فَمَا عَدَا أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ إِلَى سَيِّدِهِ فَاشْتَرَى مِنْهُ الرَّاعِيَ وَالْغَنَمَ، فَأَعْتَقَ الرَّاعِيَ وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ.

وهناك الكثير من المواقف التي دوَّنها التاريخ، وسطرتها الأيام والليالي شاهدة على توفيق الله لعباد عرفوا الله حق المعرفة، فقدروه حق قدره، وعبدوه حق عبادته، فنالهم فضل منه في الدنيا، وإكرام لهم بما فعلوا في الدنيا بنعيم الآخرة، وذلك الذي ينبغي أن يكون عليه المرء المسلم في كل زمان ومكان، من المعرفة بالله واستشعار مراقبته له، وأنه مسؤول عما قاله وفعله واعتقده، وعما استعمل فيه جوارحه التي خلقها الله لعبادته، فيقوده ذلك إلى المسارعة في فعل الطاعات، وينال بذلك خيري الدنيا والآخرة.

اللهم اهدنا بهداك، وأكرمنا برضاك، ومتعنا بخير الدنيا ونعيم الآخرة، إنك جواد كريم.

نسأل الله تعالى أن يُبصرنا بعيوبنـــا، وأن يجعلنا نرى الحق حقًا ويرزقنا إتباعه، ويرنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .... وأن يُبصر قلوبنـــا بحقائق الأمور، فلا تزيغ ولا تنحرف عن طريق الهداية.

المراجع:

❶شرح واسرار الاسماء الحسنى البصير: للشيخ هاني حلمي.

❷اسم الله البصير: الشيخ وحيد عبد السلام بالي.

❸اسم الله البصير: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.